

سيرة أبي الهول

مشرقية شعرية في أربعة فصول

لكل من الفرسى مريسي رستان

بقتل الأستاذ خليل هندوى

وأفسى قلباً ! إلى ! فان
وجهك - تحت شعاعى
الذى يواريه ظلاك - يشبه
وجه أوديب ، فكان حذراً
باريس - أنا مثله حاشا !
لا أخشاك !
أبو الهول - أدن
يا مارساليوس !
مارساليوس - أجد
بعض التأثير على قلبى

أبو الهول - ألهذا السر جئنا !
مارساليوس - وهو الذى جئنا العناء
أبو الهول - (ويراه الأحدث سنأ ، فينفث إليه
براقة)
إنك تشبه قيصر الصغير ، إنه ظل ذهب ولم يعد
باريس - لم نأت لهذا ، يجب ألا نحوم حول
الهوة التى تريد القاءنا فيها . إن صوتك تارة يتباعد
وتارة يصبح بشرى اللجة . إننا لم نأت لهذا ،

أبو الهول - سلتنى إذا عما تطالب ! أنا مصنع
إليك !
باريس - تريد أن تعلمنا سرى ! وهو أكبر
الأسرار فى هذا الطريق ، وهو السر الوحيد فى
هذا الوجود
أبو الهول - لقد قلت لكما ...
باريس - يجب أن تنبئنا ...
أبو الهول - كنت إخلالك أكثر شجاعة

يناجى ابنة جوف ، المدرعة بايجيس
وهنا . . . وقف أوديسيوس يصلى لمينرفا :
« يا ابنة جوف القوى المتعالى اسمى لى ! أضحى
الآن ياردة ! لقد تصاممت عنى إذ كانت اللجج
تلقفنى فراعينى الآن ! اجعل لى صرفقاً فى أمرى ،
وهي لى محبة ورحمة من قلوب أبناء الفياشين
أنسى بها آلامى . . (آمين آمين :)
ولبت ربة الحكمة واستجاب لدعائه . بيد
أنها احتراماً لعمها (نيتيون) الذى لا يفتأ يقتنى
أثر أوديسيوس ، عدوه الأكبر لم تشأ أن تبدوله
(يتبع)
دربنى ضربه

بل جاوزة الى أمى الرؤوم ثم سئل حاجتك تقضها
لك ، وتعدك الى وطنك مهما كان سحيقاً نائياً ..
أثر فى سميعها عامل الخير والمحبة ، تردك الى آلك
وذوبك وبلادك .. وسلام عليك »
ثم إنها ألهمت ظهور البغال فانطلقت تمردو
مولية عن النهر الذى صار يبتعد قليلاً قليلاً ..
وكانت نوزيكا آخذة بزمامها لتكبح من جاحها ،
حتى لا تفوت أوديسيوس من ورائها
وكانت الشمس تصبغ بالورس جبين المغرب
حينما وصل الركب الى حرش مينرفا المقدس ، الذى
نهض حوره الباسق فى السماء نضراً ملتفاً كأنما

أبو الهول — تقول : جريمة ! دون أن تعرف
أى سر أداريه فى أتواي !

باريس — كلما أعمنت فى الفرار منى زدت عزماً !
لا سر يمت الروح المنيرة ! النزوح ! أريد
— منك — بياناً أيتها الشعلة التى تهافت على نارها
فراشات كثيرة

أبو الهول — أيتها الطالاب الغرق فى سبلى !
هل نظرت — أية درجة باع الشحوب فى وجهي ؟
تعال وانظر إلى أشعة القمر وانهم ! فالسر الذى
أكتنمه هل يخلق هذه الذشوة التى تودع فى هذا
الشحوب الذى يزيد تفكيره وتأمله كلما زاد تأمله .
تعال انظر على شمع نارك الداهله ، أريد دائماً
أن تعرف الأشياء التى أعرفها ؟ هل تريد دائماً أن
تفرق فى روى الباعثة على الروع ؟ هل تريد
الحقيقة الأكثر بأساً ؟

نعم ! هل تريدها دائماً يا باريس ؟ بعدما رأيتنى
وعلمت أنى أكثر الكائنات بأساً لأنى أكثرها
خلوداً !

باريس — نعم : أريدها

مارسلليوس — نعم : تريدها ، تريدها

أبو الهول — مع كل ذلك ؟

الاثنان — مع كل ذلك

أبو الهول — لا شىء يستطيع أن يحيا بعد
معرفة لغزى ! لا يستطيع ..

الاثنان — تكلم !

باريس — أريد ذلك

مارسلليوس — أريد أيضاً

أبو الهول — لا أستطيع أن أجيبكما معاً !

مارسلليوس — ماذا تقول ؟

وأنت تدري أننا لا نحفل بشأن الملوك الفانين ،
والآلهة الغابرين ... نريد سر هذا الكون البعيد .
أنت تعرفه ؟ فقل لنا !

أبو الهول — وإذا ...

باريس — قل لنا على أى حال !

أبو الهول — (بعد لى) لا ...

باريس — هذه كل تلك الأخيرة ؟

أبو الهول — ما أجل هذا التحدى ؟ وإذا

كان توفى عن الكلام ..

باريس — كفالك ..

أبو الهول — وإذا كان من حسنة العالم بالغيب

أن يبق ساكناً ! وإذا كان التراب سيواربكم غداً

فماذا تعيشون ؟ وإذا كان سمى ما تعطيه رحمتى

باريس — كفالك كذبا ومهتاناً !

أبو الهول — وإذا كان سكونى فى الليل أكبر

ما يمنحه قلبى الهادىء ؟ وإذا كانت الحياة الخالية

من المعرفة خير وسيلة ..

باريس — (بدهول)

كيف تستطيع أن تعرف قلوبك كقاي . يمكننى

أن أحتمل كل شىء !

أبو الهول — إنك تظن ذلك أيتها البطل !

« هات » كان يقاب جمجمة فى المقبرة بكفه ولكنه

كان لا يدري الكلمة النهائية حين كان يقاب !

ربما كان فى الشك سعادة : فاحفظ ذلك وامض

لطيفتك !

باريس — لا أريد أن أبرح المكان !

أبو الهول — يا للضحجة التاعسة ! ولكنى

سأصمت ..

باريس — صمتك جريمة

إلهي ! إن قلبي يدق سريماً ، والصحراء
— يحيل إلى — أنها زادت آماداً ... إني أقدم
عليك يا أبا الهول ، وروحي المتيقظة الآن تصمد
إليك أيها النور العجيب ! أرق إليك ... أقبل
عليك ... وأسمعك ...

(رقى مارسليوس إليه ، وكان الليل شاملاً . . .
ينحني على فمه ليقول له السر ، وباريس يتأمل جميع حركات
هذا الغفيف من الخلود والفناء ، مارسليوس يهني ، وتراه
يصغر لونه تحت ضوء القمر ، ثم تنطبق عيناه وتنخلد قواه
كمن أصيب بصاعقة)

باريس — (ملقياً بنفسه على جثة أخيه)
النجدة ! النجدة ! مارسليوس ! ليس هذا
بحقيقة . أخي لا تغلق هكذا جفنيك ! كلني . . .
أجبنني ! ها أنا بباريس يناديك يا كيا ...

(يفكر فجأة أمام الجنة في الكلمات اللاتينية التي كان
يلفظها الفم الحى ويردها)
إنك ستغدو كمارسليوس !
(بألم وبكاء)

هل جئت بك من إيطاليا إلى الصحراء ، إلى
الموت ، إلى السكابة ؟
ألا تنفس قليلاً وأجبنني خلاك ذم ! إنني محبك !
أبو الهول — لقد مات إلى الأبد ! أجل !
مات إلى الأبد !

(الليل قائم الأحشاء ولا نجمة في السماء . أبو الهول
وحده يسمع أنين الباكي)

إنه هجر هذه الأرض ، حيث يهوى كل
شيء ، هذه الأرض حيث نطأ تراب قبورنا .
انظر إلى السماء التي لا تحد ؛ إن في منتصف هذه
الليلة آلاف الكواكب المروعة كانت ترتجف
كأنها عيون متطلعة على مصائبنا . إنها كلمة ؛ بل
كلمة بسيطة رُجِّمت في الليل ، وهذه الظلمة

أبو الهول — انتخبنا أحداً !
مارسليوس — باريس ..
أبو الهول — (بعد صمت طويل)
مارسليوس !
مارسليوس — أخي ! لقد اصطفاني الآله
الحجري ...

باريس — ستقول لي ما يحدث بك
مارسليوس — ولماذا هذا الالتقاء الغريب
الذي آثرته ؟

أبو الهول — في اللحظة التي ستعرف فيها هل
تضطرب أحياناً ؟
مارسليوس — لا أحد منا يخشى ! إن هناك
ظماً شديداً !

باريس — اذهب وليبدأ ! امض يا أخي
المحبوب ! يا قطعة من قدرى ! يا خفقة مضطربة من
صباحي ! اذهب واقتطف الحقيقة . . . هي لنفسى
أيضاً ... الحقيقة

مارسليوس — (يذهول وغبطة)
يا أخي ، يا قطعة من ذهب ونار ! أليس قلبي
قلبك ؟ إنني في طريق المعرفة ... يا النساء البهي !
إن هذا يكفر عن المشقة التي تحملناها . سأعرف
السكامة ، كلمة العلم الانساني

أخي ! يُشبه لي أنت كوكباً جديداً سطع
في دمي

سأعلم كل الحقائق العميقة ، فقبلني قبلة عميقة
عنيفة يا أخي الأوحاد ! إن رعشة عميقة تتمشى
فوق ذوائب النخيل . . . لقد كنت على حق
يوم هجرتُ مصنني وحبيبتى ، وروما وفنوني
ولياالي الحب
(يرقى ويقف على أبي الهول)

انتشرت سدولها في كل مكان . لأن السر الأعظم
الذي أواريه تحت نقابي يميت القلوب ، ويطغى
النجوم

باريس — لتسمعى سماء خامدة النور !

أبو الهول — لن يصعد شهيقك إلى السماء !

باريس — اصمت ! اصمت أيها المارد المرعب ؟

أبو الهول — لقد بدلت لهجتك ...

باريس — لهذا الأمر أعجبك هذا الفتى ...

أبو الهول — كل من أفشيت لهم سرى

الحقيق هلكوا دون أن يفوهوا بلفظة ... وهذا
واحد منهم

باريس — اصمت ...

أبو الهول — ليس في هذا المنظر شيء عندي !

واقعد أضحك أمام ميت !

باريس — وميتان يزيدان إعجابك ، إذا لامرية

فيه ، لأنك ستكلمنى بدورى ! بهذا الجسد المتمزق

وهاتين العينين الهامدتين ألا ما تكلمت وحدتنى !

لأننى مصر على ذلك . فان قلبه الهالك لأكثر

معرفة من فؤادى الحى . وعيناه الغمضتان المحدثتان

قد ملأتهما اللانهاية

(يرقى باريس إلى التنازل كما صنع مارسيلْيوس ، وفي

هذه اللحظة تنأية إيزابيلا ونصعد برداء أبيض شفاف)

المشهد الرابع

باريس ، مارسيلْيوس (طريحا على قدمى أبي الهول) ،

أبو الهول ، إيزابيلا

إيزابيلا — (بصيحة شديدة)

باريس ! لا تصغ إليه !

باريس — إيزابيلا !

إيزابيلا — حنانينك ! لقد وجدت آثارك

على الرمال المتقلبة !

لقد هلك مارسيلْيوس — أتريد رجلاً آخر

يهلك بعده ؟

تعالى إلى ! وفر من هذا المكان الذى يهيم

عليه الموت ، واهرب من هذا السر القاتل ! وانج

من هذا الموت الذى يخرج من قلبه ... إلى

ساحل إليك الفرار — يا حبيبى باريس !

أبو الهول — (بصوت ليس أعذب)

إنه ان يصنى إليك وان يسمع نجواك ! هولى ،

ولا شيء . يستطيع أن يستنقذه منى

إيزابيلا — ألم أكن جميلة بمقدار ؟ ألم أكن

رفيقة وحنونا ؟

باريس — (مبتعداً عن أبي الهول قليلا قليلا)

إيزابيلا !

أبو الهول — أما تشاء أن تعرف سرى ؟

أغلب عليك الوجلى ؟ أراك أصبحت صاحب اللون

باهت الوجه ! لقد رن صوت ملتهب هادما السحر

الذى يربط قلوبنا ... اذهب أيها الهيوب الخائى

ميتة مثل ميتة أخيه

باريس — (إيزابيلا تتعلق به)

لا لا ! دعينى ...

إيزابيلا — باريس

باريس — أود أن أعلم ...

أبو الهول — إذذهب أيها الهالك ، واضرب

لعشيقتك موعدا فى مساء

إيزابيلا — لدى من القبلات الحية التى تبعثها

المحبة الملهبة !

أبو الهول — ولى — فى الليل — صوتى

الرنان ذو الأسرار

(صاحب اللون ، كأنه يرتقب أجله . لكنه فجأة يفهم أنه لا يزال حياً ، وبصيغة الظفر) :

إني أحيا ...

أبو الهول — (بتعجب)

ولماذا لم تمت ؟ وبأى حق تظل في الحياة ؟

باريس — أنا حي ...

أبو الهول — لا يعيش من يعرف سرى !

باريس — أنا حي ...

أبو الهول — أنت حيا عارفاً السكامة التي تهتز

لها قتي ؟ لا يقدر أحد على ذلك !

باريس — أنا أول من يقدر !

أبو الهول — لن تقدر ! وما قدر أحد على

ذلك . الكل يجهلون سرى ...

باريس — عرفت سرى ولا أزال أحيا ...

نعم ! لا أزال أنفـس وأحيا ! وأنت أيها الحبيب

الضعيف العزم لأنك لم تستطع أن تطبق عينيك

على السر ! يارفيق صباي ، ثم هادئاً قرر النفس !

إني سأنجـز وعدى ، وسأعود الى ابداعي الأول ،

فالمـل وحده يذهـل عن الألم الكبير . ومن أجـلك

أيها الوجه الشاحب ، سأجـمل جوابي على سر

الموت قطعة تتدفق فيها الحياة . وهكذا تظل حياً

في آثاري وابتسكاري ..

(يقترب من جثة مارسيللوس ويرفـة زائدة وحنان

عميق مؤثر حمله وألقت إيزابيلا موشحها على وجهه الشاحب

وقبل أن يبتعد أجـش بالبكاء وودع أبا الهول) :

— وداعاً

(باريس يتوارى وخلفه إيزابيلا ، وبعد لحظة يظهر

أبو الهول ، يقفـه ضاحكاً قائلاً بنفسه) :

— لم أقل الحقيقة إلا لمارسيللوس !

الستار

فـليل هنـدري

إيزابيلا — اذكر سمادتك ، والأيام التي قضيتها في حي !

أبو الهول — إني أعرف قبلة لا تنتهي أبداً

باريس — لا لا ... أريد أن أعلم !

(يعود الى أبي الهول)

إيزابيلا — (متوسلة الى أبي الهول)

آه يا ملك الرمال ! كن أكثر إشفافاً على منه .

ألا تبصر — إزامك — امرأة تبقى البقاء طيلة هذا

الخلود الشاع البارد ! لا أملك إلا هذه اللحظة

الانسانية التي تصرمني ... فالقرون — لديك —

تتراكم تائهة حائرة . يغشى فريق ويمود فريق !

أفـن هذه القرون إذا كان فك الخلد لا يمنع إلا

الموت للحب الذي يناديه !

أما هذا فلا تذوقه الردى — إنك إن تفعل

تقض على معه غداً — لا أملك من الزمان إلا عمر

حبه ، هو إيمانى الذى أعتقد ، وحياتى ، وكوكبي

الصاعد ، الحياة خالية إلا به ... إنك إن تقتله ...

أبو الهول — (لباريس)

اصمد ...

إيزابيلا — إنك لن تمنع هذه العين التي

أعبدها !

إنك

أبو الهول — لقد كنت أتردد فى أمرى ...

قد انتهى كل شيء ... سأكلـك !

(يرقى باريس كمارسيللوس ويودعه سره)

باريس — (وهو يسمع كلماته)

إنى أسمع ... أسمع ... وبعـد . وبعـد . وبعـد !

(عاد الى إيزابيلا الشاحبة ، وهو يكاد يسقط على الأرض

كمارسيللوس)

إلى ... إنى مانت لا محالة !